مشروع المعجم التاريخيّ للّغة العربيّة
ـ الكائن والمنتظَر ـ

الأستاذة: كاهنة محيوت. *

تاريخ الاستلام : 07 05 2018 **تاريخ القبول:** 03 10 2018

ملخّص البحث: إنّ المعجم كتابٌ يضمّ أكبر عدد ممكن من مفردات لغةٍ ما واستعمالاتها في التّراكيب المختلفة، وهو الذي يحفظ للأمّة تراثها اللّغويّ ورصيدها المعجميّ حتّى تبقى حيّة بين الأمم؛ لأنّه ما بقيت أمّة إن لم يسعَ أهلها للحفاظ على مقوّماتها الأساس، التي تمثّل اللّغة إحداها، وهو وسيلة لاستيعاب وتيسير استعمال اللّغة وتنميتها على الدّوام، والمعجم اللّغويّ عموما، والتّاريخيّ خصوصا يرصد المفردات وتطوّرها عبر العصور وما تسجّله من تغيّر. ويحتلّ المعجم مكانته المناسبة لدى أيّة دولة؛ بحيث تسعى حثيثا لأنْ يكون مصنوعا ومقبولا شكلا ومضمونا، ولطالما عملت الأمّة العربيّة على ذلك منذ القِدم، وإنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة هو الذي يرمي إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها من خلال تتبّع تطوّرها منذ أقدم ظهور مسجَّل لها، حتّى يومنا هذا، ومن الدّوافع التي جعلتني أبحث في هذا الموضوع: المشروع الحضاريّ العتيد الذي يجب أن تنجزه الأمّة العربيّة، ولمّا ينجز بعدُ، لأنّ هذا الموضوع يحتلّ أهميّة بالغة في الدّراسات الحديثة؛ لأنّه يعد أحد رموز الأمّة العربيّة، وهو الذي يحفظ لها تاريخ لغتها المجيد، ويهدف المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة إلى تنمية الثّقافة العربيّة وتجسيد الممارسة اللّغويّة العربيّة في كلّ المجالات، بما فيها التّخطيط اللّغويّ والسّياسة

* جامعة تيزي وزّو – الجزائر. البريد الإلكتروني: mahioutkahinaess@gmail.com

اللّغويّة، بالإضافة إلى تخطيط الوضع اللّغويّ للّغة العربيّة في الوقت الذي نحتاج فيه بالفعل إلى من يطبّق هذا المشروع الحضاريّ ويجسّد مكانته اللّغويّة، ولذلك لا أشكّ في نفع البحث ضمن هذا الإطار، ولا ريب أنّه سينفعني وينفع كلّ طالب في اللّغة وعلم المعجم. ولا شكّ أيضا أنّ العرب في حاجة إلى معجم تاريخيّ، يكون لهم بمثابة الذّخيرة اللّغويّة التي يعودون إليها وقت الحاجة بحيث يعتبرونه ديوانهم الشّامل لكلّ لفظ أو مفردة أو أسلوب أو معنى، ويحفظ لهم تراثهم العريق الذي يعكس حياتهم وعلومهم.

Abstract : The issue of definition in the historical dictionary of Arabic, is one of the issues that is attracting linguists and lexicographers' attention, as providing in adequate and exhaustive of words that constitute major entries in the historical dictionary helps the reader or any researcher to have access to what he/ she is looking for in his/ her scientific and academic research. It also facilitates his/ her task when encountering difficulties in finding the right words in his/ her writing. However, the historical dictionary of Arabic that has not been established yet represents the biggest obstacle, because it dates the development of words over period of time as other nation that established their historical dictionary, the oxford English dictionary provides a particularly salient example in this regard.

– **الكلمات المفاتيح:** اللغة العربيّة، المعجم، المعجم التّاريخي للّغة العربيّة.

– **مقدّمة:** إنّ اللّغة كائن حيّ لا يموت، وهي ولود تتطوّر وتتغيّر بزوال ألفاظ وظهور أخرى على مرّ الزّمان، واللّغة استعمال كما قال (ابن خلدون)، و"إنّ تاريخ اللّغة يتناول النّظر في ألفاظها وتراكيبها بعد تمام تكوّنها، فيبحث في ما طرأ

عليهما من التّغيير بالتّجدّد أو الاندثار، فيبيّن الألفاظ والتّراكيب التي اندثرت من اللّغة، وما قام مقامها من الألفاظ والتّراكيب الجديدة بما تولّد فيها، أو اقتبسه من سواها، مع بيان الأحوال التي قضت بدثور القديم، وتولّد الجديد"[1]؛ ومعنى ذلك أنّ علم التّاريخيّ يتناول بالدّراسة تاريخ الألفاظ العربيّة من أوّل ظهور لها: عصر النّقائش إلى آخر ظهور لها: عصر الكتابة أو العصر الحاليّ، وبالنّتيجة فإنّه يتناول تحوّلات الكلمة من البداية إلى النّهاية، فيبيّن الألفاظ الزّائلة بسبب عدم الاستعمال اللّغويّ لها، والباقية منها بفضل انتشارها. وإنّ البحث في تاريخ اللّغة على العموم يتناول:

أوّلا: "النّظر في نشأتها منذ تكوّنها مع ما مرّ عليها من الأحوال قبل زمن التّاريخ، كتكوّن الأفعال، والأسماء، والحروف، وتولّد صيغ الاشتقاق وأساليب التّعبير ونحو ذلك، والبحث في هذا كلّه من شأن الفلسفة اللّغويّة.

ثانيا: النّظر في ما طرأ على اللّغة من التّأثيرات الخارجيّة بعد اختلاط أصحابها بالأمم الأخرى، فاكتسبت من لغاتهم ألفاظا وتعبيرات جديدة"[2]؛ وذلك إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ البحث اللّغويّ العربيّ القديم كان شاقّا على أهله، ناهيك عن البحث اللّغويّ الحديث في ميدان اللّغة العربيّة بكلّ فروعه العلميّة، بحكم أنّه يتطلّب الدّقّة والوضوح والتّركيز أكثر، وبخاصّة مع تراكم المصطلحات وكثرتها وتزاحم بعضها بعضا، وعدم الدّراية بأيّ منها نأخذ في العلم الواحد، بل وفي الفرع الواحد. "كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم، وأخلاقهم، وآدابهم، وما يرافق ذلك من تنوّع معاني الألفاظ بتنوّع الأحوال مع حدوث صيغ وألفاظ جديدة.

ثالثا: النّظر في تاريخ ما حوته اللّغة من العلوم والآداب، باختلافها"[3]؛ وبعبارة أخرى، فإنّه يمكن القول إنّ تتبّع تاريخ الألفاظ يجعلنا نلقي نظرة عامّة على حياة الكلمات من ميلادها إلى زوالها أو اندثارها عن قرب، وتعرّف مكانها الجغرافيّ وأصلها اللّغويّ، ونمط حياة أهلها؛ لأنّ اللّغة تعكس دائما صورة متكلّميها.

– **تعريف المعجم التّاريخيّ:** إنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة هو ذخيرة الأمّة العربيّة المنتظَرة على كلّ الأصعدة، المرجوّ إنجازه ولم يحصل بعد؛ لأنّه يتطلّب تضافرا مؤسّساتيّا وجماعيّا لا فرديّا، وموارد بشريّة وماديّة كثيرة، ووقتا طويلا بالإضافة إلى الخبراء والمختصّين والمترجمين والتّقنيّين من كلّ الميادين العلميّة وإنّ المعجم التّاريخيّ يؤرّخ لظهور كلّ كلمة في اللّغة، ويتتبّع ما طرأ على دلالاتها من تطوّر، وما حدث لها من تغيّر على مستوياتها، كما يبيّن أصل الكلمة، وما إذا كانت قد اقتُرضت من لغة أخرى أم لا ؟

* **عرّفه الدّكتور (محمّد حسن عبد العزيز):** "بأنّه معجم بيان المعنى الأصليّ للكلمة، وبيان ما يطرأ عليه من تغيير، ويسجّل معاني الكلمة، ويرتّبها ترتيبا رقميّا مسلسلا وفق تواريخ حدوثها"[4]؛ ويشير له أحد المؤلّفين بأنّه "المعجم الذي يتناول حياة كلّ كلمة من كلمات اللّغة، ويسجّل لنا أوّل نصّ وردت فيه الكلمة، وربّما يجوز لنا أن نفترض مثلا أنّ كلمة: نمط، قد وردت لأوّل مرّة في معلّقة (زهير بن أبي سلمى)، إلاّ إذا اتّضح لنا أنّها وردت في نقش عربيّ أقدم، ويدلّ هذا أنّه على المعجم التّاريخيّ أن يعكس حياة الكلمة منذ أقدم نصّ وردت منه، ويمضي معها محدّدا دلالتها المتغيّرة، ومستويات استخدامها"[5]غير أنّ هذا المعجم لم يظهر بعد بل انتكس في ظهوره وأعيق، في حين تملك الأمم الأخرى معاجمها التّاريخيّة كالإنجليزيّة والفرنسيّة. ويضيف الدّكتور (عليّ القاسميّ) عن المعجم التّاريخيّ قائلا: ويورد المعنى الأقدم أوّلا، ويضع بعده سنة ظهوره مع شاهد أو اقتباس من النّصوص المدوّنة، ثمّ يأتي بالمعنى الثّاني الذي استُعمِلت فيه الكلمة وسنة ظهوره في جملة مقتبسة وردت فيها تلك الكلمة بذلك المعنى وهكذا"[6]؛ ومادّة هذا المعجم تستند إلى مصادر، من بينها الشّعر العربيّ القديم الذي يُحتجّ به بداية من 150 سنة قبل الإسلام إلى 150 سنة بعده، وكذا النّثر والمعاجم اللّغويّة القديمة، غير أنّ هذا المعجم المنشود مهمّ شأنه بقدر صعوبة تأليفه.. وإنّ المعجم التّاريخيّ في حالته الرّاهنة يعرض حياة اللّفظة في عصور تاريخيّة متعاقبة، بينما يقتصر المعجم القديم

على ما يطلق عليه بالوصفيّ في فترة معيّنة دون أن يخلط بين مفرداتها ومفـــردات فترة أخرى، وبالتالي يمكن القول أيضا إنّ المعجم العربيّ القديم جزء من المســـيرة التّاريخيّة للكلمات.

وبالإضافة إلى هذا، فقد نُعت المعجم التّاريخيّ بعدّة نعـــوت، مثـــل: الفرضـــيّ prescriptive، المعياريّ Normative، التّعليميّ Didactique."[7] ؛ وإن اختلفت تسمياته من باحث لآخر، ومن معجميّ إلى آخر، إلاّ أنّ مفهومه واحد يتمثّـــل فـــي بحث تاريخ الألفاظ العربيّة ودراستها دراسة دقيقة شاملة وكافية عبـــر العصـــور المختلفة وتكوين معجم يشملها كلّها، ليقدّم للأمّة العربيّة، ويبقى في التّاريخ.

– **أهمّيّته:** لا تقلّ أهمّيّة المعجم التّاريخيّ العربيّ عن بـــاقي معـــاجم اللّغـــات الأجنبيّة، بل قد يربط العلاقات بين الأقطار، ويدرس اللغة بدقة، ويؤرخ للتطورات النّحويّة، والتّركيبيّة، والصّرفيّة والدّلاليّة، والصّوتيّة للكلمات على مستوى التّغيّرات اللّغويّة الحاصلة بها، "واللّغة العربيّة لغة متّسعة مستوعبة أكثر من معظـــم لغـــات الأرض، مرنة بما لها من خصائص الاشتقاق والنّحت والتّعريب، فهي وكما أعطت أبناءها في الماضي القدرة على التّأليف، والتّرجمة، والابتكار في جميـــع مجـــالات المعرفة الإنسانيّة خلال العصور الإسلاميّة المزدهرة، فإنّ بإمكانها اليوم أن تمدّهم بكلّ ما يحتاجونه من مفردات لاستيعاب الحضارة الحديثة، بكـــلّ مـــا فيهـــا مـــن مستحدثات علميّة ووسائل تقنيّة متطوّرة. والمستعمل اليوم مـــن مفـــردات اللّغـــة العربيّة لا يزيد كثيرا عن عشرة آلاف مادّة تتّسع لحاجات التّأليف والتّعبيـــر كلّهـــا بينما نجد معجمات اللّغة العربيّة تحوي أضعاف هذا العدد"[8]؛ هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ العربيّة هي لغة علم وحضارة وتاريخ، لغة كتب الله لها العـــيش والوجود مطوّلا بحكم أنّها لغة القرآن الكريم، التي تحمل في طيّاتها الكثيـــر مـــن الفصاحة والأساليب الرّائعة التي بها يعبّر الفرد عمّا يريد الإفصاح به، كمـــا أنّهـــا ذات مسار تاريخيّ وتراث عريق وحضارة راقية، حملته فـــي أحضـــانها الكتـــب والمعاجم للنّاطقين بها، بل وشعوب العالم من غير النّاطقين بها، وهي أداة التّواصل

بين الشعوب العربيّة والإسلاميّة، وأداة عبور إلى العقول والأذهان التي تحمل النّتاج الفكريّ والعلميّ.

وتتجلّى أهميّته أيضا في أشياء أخرى؛ حيث إنّ صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة تعني اكتساب ثروة لغويّة كبرى، لاسيما عند تعدّد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها بحسب السياق، ذلك دليل على سعة لغة الضّاد وشمولها بالإضافة إلى تفسير الألفاظ تفسيرا معمّقا وفهمها فهما ميسّرا، وبيان اشتقاقاتها وتصريفاتها وجموعها ومصادرها، ونطقها الصّحيح عند ضبطها بالشّكل، وكيفيّة ربطها بالتعريفات والتّعابير الاصطلاحيّة، والنّتيجة هي إعانة طلاّب المعرفة من النّاطقين باللّغة العربيّة، والنّاطقين بغيرها عند تعلّمها يعينهم على استعمالها وتوظيفها في كتاباتهم المختلفة، وهذه الأخيرة كذلك فائدة تعود للمعجم العربيّ الذي سجّل معاني الكلمات في عصور الاحتجاج، كي تكون المرجع لفهم نصوص العربيّة المقصودة بالتّقعيد والنّسبة إليها، وهي لغة العرب وقت نزول الوحيين.

– **استعمالات المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة:** من مجالات نفعه واستعماله شيء كثير؛ إذ يكون له استعمالان: أحدهما ذَرَعيّ، والآخر لغويّ.

1– "الاستعمال الذَّرَعيّ: تناوُل معجم اللّغة من الوجهة التّاريخيّة لا يكون بمعزل عن المجتمع المدّخر ثقافته في مفردات المعجم، وبسبب التّرابط القويّ بينهما، تتغيّر المادّة المعجميّة بتأثير من مختلف الأنشطة البشريّة المتداولة بين أفراد المجتمع. عن تلكم العلاقة القائمة بين الأحوال المجتمعيّة والموادّ المعجميّة يلزم أن يُنظر إلى المعجم التّاريخيّ بوصفه وثيقة طبيعيّة شموليّة، فهو وثيقة طبيعيّة لأنّه يمتنع افتعالها، وشموليّة؛ لأنّها تغطّي كلّ المجالات والحقول ممّا عملته أيدي القوم وعقولهم، أو ورد عليهم بنقلة إلهيّة أو نكسة بشريّة، وبذلك يمكن اتّخاذ المعجم التّاريخيّ ذريعة، أي وسيلة منهجيّة للكشف الموضوعيّ عن البائد من أحوال المجتمع"[9]؛ ذلك يوحي إلى أنّ أيّ معجم مهما كان لأيّ لغة يعكس أحوال المجتمع الذي يتكلّم تلك اللّغة؛ فهو مرآة تظهر مظاهر الشّعوب في جلّ الميادين:

الاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والسّياسيّ والأدبيّ، والعقائديّ، فكثيرا ما شرحت لنا القصائد الجاهليّة العربيّة على حدّ سواء كيفيّة عيش العرب قديما. "وليس أسهل من تحويل الظّاهرة المجتمعيّة المقصودة بالدّراسة إلى حقل دلاليّ، بحيث يتأتّى للدّارس أن يعاين مدى فشو الظّاهرة المعنيّة أو خبوها على مرّ العصور، وذلك من خلال ما يلاحظه من اتّساع أو ضيق في الحقل الدّلاليّ المقترن بتلك الظّاهرة بمعنى أنّ اللّغة العربيّة استعمال، وهذا الأخير يأتي من أهلها الذين يرغبون في الحفاظ عليها، واللّغة يجب أن تساير التطوّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة الرّاهنة التي تحدث يوميّا، فعلى سبيل المثال، حدث تطوّر سريع في معجم العربيّة القديم بعد دخول الإسلام وانتشاره في أرجاء المعمورة، وبالتّالي دخلت ألفاظ إسلاميّة إلى المعجم اللّغويّ العربيّ.

"ويدخل في الاستعمال الذّرعي للمعجم التّاريخيّ دراسة نصوص منتمية إلى أحقاب متغايرة، إذا يفتقر إليه الدّارس من أجل تأويل سليم لعباراتها، سواء أكان النّصّ المدروس شرعيّا أم تاريخيّا أم أدبيّا أم علميّا، فلفظة: **زعم** في موجّهات الخطاب العلميّ المعاصر تقترن بمعنى: **الادّعاء** الذي يكون مظنّة للكذب، لكنّها في كتاب سيبويه: (زعم الخليل.... وقد زعم بعضهم)، تقترن بمعنى: (عدّ الأمر كذا واعتبره كذلك)"[10].

– **الاستعمال اللّغويّ للمعجم التّاريخيّ:** "ثبت أنّ المعجم التّاريخيّ يوفّر معلومات يستخدمها المشتغلون بحقول معرفيّة متعدّدة، كالمؤرّخ، والمفسّر، وناقد الأدب، ودارس المجتمع، وغير هؤلاء كثير، أمّا غايتنا، فتنحصر في الكشف عن حاجة اللّغويّ إليه؛ لأنّ تفسير الملحوظ في ظواهر لغويّة، أو الإثبات المرسي لفرضيّة نظريّة يحوجان اللّسانيّ إلى تاريخ اللّغة، كما توضّحه العبارة: "لو كان بأيدينا تاريخ للّغة العربيّة يرصد مراحل تطوّرها مرحلة مرحلة، لأمكننا تتبّع مسلسل التّحجّر بكيفيّة أدقّ"[11]، وبما أنّ المعجم أحد الفصوص المكوّنة للّغة، وجب أن يستقلّ بقسم من تاريخها وصرفها وتركيبها بما يعنيه من تاريخ اللّغة ككلّ"[12]

ومعنى ذلك أنّ للمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة عدّة استعمالات، إذ يحتاجه النّاقد والشّاعر وعالم اللّغة، والمحامي، والتّقنيّ، والمختصّون في الحقول المعرفيّة المختلفة العلميّة، كما يحتاجه الأديب للبحث فيه عن الكلمات التي يرغب في توظيفها في كتاباته المختلفة.

إنّ المعجم التّاريخيّ معجم لا يتقيّد بفترة زمنيّة محدّدة، أو مكان محدّد مثل المعجم الوصفيّ، وإنّما ينظر إلى المراحل المختلفة التي مرّت بها حياة اللّغة، نظرة شاملة وبخاصّة من ناحية الاستعمال، بحيث ينتهي إلى ترتيب التّطوّر في استعمال المفردات من حيث المعنى والمبنى، منذ أقدم العصور إلى حين العصر الذي يتمّ فيه عمل المعجم، وتمثّل الشّواهد على الاستعمال مرتبة مقابل كلّ استعمال حجر الزّاوية في مثل هذا المعجم؛ بحيث يجد الباحث فيه جميع المعاني ومباني الكلمات أو المفردات التي تنتمي، أو كانت تنتمي للغة ما في جميع مراحل حياتها"[13] ومعنى هذا أنّ المعجم التّاريخيّ يقوم بسرد تاريخ الكلمات أو الوحدات اللّغويّة في إطار حياة اللّغة، كما يوضّح ميلاد المفردات والمعاني الجديدة، واختفاء بعض المفردات من الاستعمال، وزمان كلّ منها، كما يقارن بين المفردات من حيث أصلها داخل عائلة لغويّة واحدة، مثل مقارنة اللّغة العربيّة بلغات العائلة السّاميّة مثل الآراميّة، والسّريانيّة، والعبريّة وغيرها من لغات هذه العائلة، أو مقارنة اللّغات الأوروبيّة الحديثة بلغات العائلة الهنديّة الأوروبيّة، وذلك من خلال حياة اللّغة، أو فترة زمنيّة معيّنة من مراحل حياتها.

ويمثّل المعجم التّاريخيّ الجانب التّطبيقيّ لعلم اللّغة التّاريخيّ، الذي ظهر نتيجة إيمان اللّغويّين بأنّ اللّغة كالكائنات الحيّة التي تولد وتنمو، ورأوا انطلاقا من هذه الرّؤية الطّبيعيّة التّطوّريّة، ضرورة وضع معجم تاريخيّ يساير كلّ لفظ عبر تطوّراته المختلفة.

ويعدّ معجم (أكسفورد) التّاريخيّ للّغة الإنكليزيّة، أفضل المعاجم التّاريخيّة، فقد استغرق تأليفه سبعين (70) عاما قبل أن يتمّ في سنة 1928، وهو يسجّل الكلمات

كلّها، منذ القرن السّابع عشر (17) حتّى القرن العشرين (20)"[14] ، والمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة لم يظهر حتّى الآن، إلاّ أنّه ثمّة محاولات في ذلك في هذا المجال، حيث ينسب إلى المستشرق (فيشر) أوّل محاولة وضع معجم تاريخيّ عربيّ، إلاّ أنّ المنيّة وافته قبل أن يكمل مشروعه، كما أنّ قيام الحرب العالميّة الثّانية أضاعت جهوده، ولم تبق منها إلاّ جذاذات غير مستوفاة، فنقلت الموادّ إلى مجمع (فؤاد الأوّل) للّغة العربيّة، كي يستعان بها في تصنيف المعجم التّاريخيّ الذي يتهيّأ لوضعه.

وقد حاول مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة تبنّي مشروع (فيشر) ووضعه في معجم شامل يستوعب اللّغة في مختلف العصور، إلاّ أنّ هذا المعجم لم يرَ النّور بعد، وقد اكتفى المجمع بإصدار (المعجم الكبير)، وهذا نظرا لأنّ المعجم التّاريخيّ يحتاج أعمالا تمهيديّة لم يُؤخذ بها بعد"[15]. وإن يكن من أمر، فإنّ اللّغة العربيّة غنيّة عن التّعريف، وبالتّالي يجب أن يُصنَع لها معجمها التّاريخيّ المنشود، وقد عرف العرب تأخّرا ملحوظا في هذا الجانب على غرار الأمم الأجنبيّة الأخرى، "وإنّ علوم اللّغة العربيّة في كلّ جوانبها الأساسيّة وموادّها واتّجاهاتها المختلفة، قد وضعت نائية عن التّقليد والتّكلّف، وآية ذلك أنّك لا تبحث عن جهة من جهاتها المتناثرة، وميدان من ميادينها المتباينة، إلاّ ويلوح لك أنّ ما دعا إلى إيجاد تلك الجهة وضع اللّبنة الأولى لذلك الميدان، وإقامة ذلك الصّرح العلميّ، هو حاجة ماسّة لا محيد عنها، وضرورة خاصّة لا مناصّ منها، كالذي عرفناه في سبب وضع النّحو العربيّ، وإنشاء أصوله ووضع قواعده من وُضّاعه الأوائل، مثل الذي وعيناه في سبب تدوين الحديث النّبويّ الشّريف، وجمع القرآن الكريم في مصحف واحد"[16]. وتجدر الإشارة هنا إلى القول إنّ البحث اللّغويّ القديم قد عرف التّطبيق والتّجريب والممارسة دون وضع التّصوّرات والنّظريّات، وفي العصر الحديث حدث العكس، إذ كثرت التّصوّرات والنّظريّات على حساب التّطبيق، وهو ما حدث

على مستوى المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة الذي كثرت حوله الأقاويل والنّظريّات ولكن ما من تطبيق أو ممارسة في تأليفه وإخراجه إلى النّور.

– **مفهوم المعجم في الأدبيّات اللّسانيّة:** "لقد أمدّتنا اللّسانيّات الحديثة بشبكة من المفاهيم والمصطلحات تتعلّق ببنية المعجم، والنّصّ المعجميّ أو القاموسيّ والمعالجة القاموسيّة، وتضبط الدّراسات اللّسانيّة النّظريّة التّعريف التّاليّ لمفهوم المعجم: إذ تعدّ معجم اللّغة الكيان النّظريّ للغةٍ من اللّغات، والذي يوافق مجموع وحداتها المعجميّة وممّا تقرّه اللّسانيّات المهتمّة ببنية المعجم الذّهنيّ في كلّ اللّغات الطّبيعيّة، أنّه توجد في كلّ لغة آلاف الوحدات المعجميّة، ولكن لا أحد من مستعمليها يمكنه أن يحيط بجموع الوحدات في لغته"[17] "ويكون بذلك مفهوم المعجم مفهوما عامّا، تندرج تحته أقسام فرعيّة من الوحدات المعجميّة، وعلى هذا الأساس يجري اللّسانيّون تمييزًا آخر بين مفهوم المعجم le lexique باعتباره البنية الكلّيّة ومفهوم المفردات le vocabulaire باعتباره قسما جزئيّا، يندرج تحت هذه البنية الكلّيّة الموجودة بالقوّة لدى المتكلّمين المستعملين للغة من اللّغات؛ حيث يحيل المعجم إلى مجموع الأشكال اللّغويّة المعروفة لدى متكلّم ما، والموجودة بطريقة نشيطة أو كامنة، ويميل مصطلح المفردات إلى الأشكال اللّغويّة المعروفة لدى المتكلّمين، والنّشطة في استعمالها اللّغويّ"[18]. ويمكن التّمييز في مستوى المفردات ذاتها بين نمطين من المفردات لدى الجماعة اللّغويّة الواحدة، ولدى المتكلّم الواحد: رصيد المفردات الأساسيّ le vocabulaire fondamentale بالنّسبة إلى كلّ متكلّم، ورصيد المفردات العامّة le vocabulaire générale؛ ولا يمتلك متكلّمو اللّغة الرصيد المعجميّ نفسه، لكن بالإمكان القول إنّهم يتقاسمون رصيد المفردات العامّة"[19].

كما تجري الدّراسات اللّسانيّة أيضا داخل مفهوم المعجم نمطين من التّقابل:

1– **التّقابل الأوّل:** "بين المفردات النّشطة والمفردات الكامنة؛ حيث توافق المفردات النّشطة الوحدات اللّغويّة، أو المفردات التي يعرف المتكلّم دلالتها

ويستعملها، بينما توافق المفردات الكامنة الوحدات اللّغويّة، أو الألفاظ التي يعرف المتكلّم دلالتها، لكنّه لا يستعملها.

2- **التّقابل الثّانيّ:** هو الذي بمقتضاه تتقابل المفردات العامّة والأساسيّة مع المفردات المختصّة، فإذا ما انطلقنا من هذه التّحديدات المفهوميّة واعتمدناها وبخاصّة الثّنائيّة التّقابليّة: المفردات النّشطة والأساسيّة في مقابل المفردات الكامنة والمختصّة، أمكن أن نستنتج أنّ ما يمثّل معجم اللّغة هو المفردات الأساسيّة والنّشطة لدى مستعمليها؛ أي تلك المتواترة في استعمالاتهم"[20]؛ وذلك يوحي إلى أنّ تأليف المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يستدعي الأخذ في الحسبان كل القواعد والإجراءات والقوانين اللّغويّة التي تخضع لها صناعة أيّ معجم لغويّ آخر؛ لأنّ مشروع هذا المعجم ضخم، ويحتاج ذخيرة لغويّة وموارد بشريّة عالمة وتقنيّة من أجل إنجازه وتقديمه للأمّة العربيّة، والذي يُؤمَل يوما بعد يوم.

هذا وإنّ مادّة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة موجودة، وهي ليست صعبة بقدر صعوبة الإحاطة بها، فكنوز العربيّة عديدة ومختلفة، ومصادرها غنيّة وزاخرة بالعلم والمعرفة والتّاريخ، لكنّ الصّعوبة الكبرى تكمن في من يقرّر البدء في هذا العمل النّبيل، ومتى تعلن السّياسات والدّول العربيّة تأييدها لتنفيذه، "وإنّ المشرفين على وضع القواميس اللّغويّة العامّة في اللّغة العربيّة، مدعوّون إلى مراجعة مصادر التّوثيق les sources documentaires التي يستقون منها المادّة المعجميّة التي بها يُبنى النّصّ القاموسيّ من جهة، ومراجعة مبادئ الانتقاء الكمّيّة والنّوعيّة principe de sélection quantitatifs et qualitatifs التي تُعتَمد لانتقاء الوحدات المعجميّة الواجب إثباتها في القاموس، بعد التّغيّر العميق الذي شهده نموذج النّفاذ المعرفيّ modèle d'accès aux savoirs؛ فنحن نشهد فترة تتّسم بتحوّل معرفيّ عميق رافقه تحوّل في نموذج النّفاذ المعرفيّ، وبخاصّة مع ظهور القواميس ذات الحوامل الإلكترونيّة، وما يُلاحظ في مجال الصّناعة القاموسيّة اليوم، هو تضاؤل في حجم المطبوعة، يقابله تنوّع وتجدّد ومراجعة دائمة

واستقصاء في المادّة المعجميّة، التي تثبتها القواميس الإلكترونيّة. وتتمثّل مبادئ الانتقاء الكمّيّة quantitatifs principes de sélection في عدد من المقاييس التي يعتمدها واضعو القواميس، فيجمع المدوّنة المعجميّة، وترتيب المداخل وبناء النصّ القاموس، بينما تتّصل مبادئ الانتقاء الكيفيّة بعوامل الزّمان والمكان والعوامل الاجتماعيّة والخطايّة والمحوريّة التي يعتمدها القاموسيّون، التي تنمذج تنوّع المعجم modélisent la diversité du lexique.

وإنّ التّطوّر اللّغويّ هو ذلك التّفاعل الذي يحدث بين بنى لغويّة قائمة وواقع اجتماعيّ متبدّل، يفضي إلى تلاؤم بين تلك البنى التي تعدّ تقليديّة والحاجات التّعبيريّة الجديدة، وإنّ هذا المفهوم من شأنه أن يساعد على تقبّل مظاهر التّغيّر في ألفاظ اللّغة تبعا لقوانين وقواعد تؤهّلها لأن تكون عناصر بناء في معجم العربيّة التّاريخيّ. وطرح مسألة التّطوّر اللّغويّ بهذا المفهوم أمر ضروريّ، وذلك أنّ مظاهر الاستحداث تقتضي تقييما في إطار مقاربة لسانيّة تأخذ بعين الاعتبار مسألة التّطوّر اللّغويّ، وتقبل من المظاهر المحدثة ما يستجيب منها لقوانين تستوعبها وقواعد تتحكّم فيها"[21]. وعوامل التّطوّر اللّغويّ تتلخّص في نوعين: عوامل داخليّة تتعلّق باللّغة في طبيعتها بأنّها من تواضع متكلّميها، وأنّها تخضع للتّطوّر، وعوامل خارجيّة تتسبّب على تأثير الظّروف الاجتماعيّة في استعمالها وتغيّرها ودخول ألفاظ جديدة إليها، أو ما يسمّى بالتّداخل اللّغويّ، بالإضافة إلى العوامل النّفسيّة المتمثّلة في كيفيّة تعبير المتكلّم عمّا يختلج في نفسه من أحاسيس وطريقة تعبيره بها.

ويحتاج المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة إلى الرّقمنة والحوسبة بعد إنجازه، ويمكن لمؤلّفيه أن يستخدموا الأجهزة المتطوّرة في سبيل إحصاء الكلمات والجذور، "فقد استخدم الحاسوب في الإحصاءات اللّغويّة في مطلع السّبعينيّات عندما تعاون اللّغويّ المصريّ الدّكتور (إبراهيم أنيس ت: 1978) مع الفيزيائيّ المصريّ الدّكتور (علي حلمي موسى) في جامعة الكويت على الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات حروف جذور الكلمات في اللّغة العربيّة، وصدرت دراستهما بعنوان:

الدّراسة الإحصائيّة للجذور الثّلاثيّة وغير الثّلاثيّة لمعجم (الصّحاح للجوهريّ تـــ: 324 هـــ). وفي سنة 1972 نشرا دراسة إحصائيّة لجذور معجم (لســـان العـــرب لابن منظور تـــ: 711 هـــ). وفي عام 1973، قام الدّكتور (علي حلمي موســـى) بدراسة إحصائيّة لجذور معجم (تاج العروس للزّبيدي تـــ: 1205 هـــ) شارك فيها هذه المرّة الدّكتور (عبد الصّبور شاهين)"[22] ، وقد توصّل هؤلاء العلماء الثّلاثة إلى النّتائج التّالية:

- إحصاء كلمات اللّغة العربيّة الواردة في هذه المعاجم الثّلاثة؛
- إحصاء جذور اللّغة العربيّة الثّلاثيّة والرّباعيّة والخماسيّة في هذه المعاجم؛
- إحصاء تردّد الحروف وتتابعها؛
- مقارنة النتائج المستخلَصة من هذه المعـــاجم الثّلاثـــة. وهنـــاك كثيـــر مـــن الدّراسات الأخرى الإحصائيّة سواء للقرآن الكريم، أو تلك التي أقيمت في مركـــز الدّراسات والأبحاث للتّعريب في الرّباط"[23]؛ ذلك إن دلّ على شيء إنّما يدلّ علـــى أنّ اللّغة العربيّة لغة متطوّرة، لغة الحضارة والرّقيّ والعلم، وإن بقيت متأخّرة بين اللّغات الأخرى، فذلك يعود إلى تسوّف أهلها وتماطلهم في توظيفهـــا واســـتعمالها وإخضاعها للدّراسة والتّحليل والعصرنة.

- **المعجم التّاريخيّ وعلم اللّغة الحاسوبيّ:** يستطيع المعجـــم التّـــاريخيّ للّغـــة العربيّة الانتفاع بنتائج علم اللّغة الحاسوبيّ في الإحصاءات اللّغويّة المختلفة، مثـــل: "معدّلات استعمال الحروف، ويمثل الجدول التّالي التّتابعات القويّة للحروف، الـــذي توصّل إليه الدّكتور (علي حلمي موسى) من أبحاثه الإحصائيّة الحاســـوبيّة علـــى الجذور في المعاجم الثّلاثة"[24]:

التّتابع	معجم الصّحاح	معجم لسان العرب	معجم تاج العروس
ر ب	٪ 0,44	٪ 0,37	٪ 0,30
ب ر	٪ 0,43	٪ 0,34	٪ 0,32

ف ر	٪ 0,45	٪0,34	٪ 0,30
و ر	٪ 0,41	٪ 0,34	٪ 0,32
م ر	٪0,41	٪0,33	٪ 0,30
ن ب	٪0,38	٪ 0,34	٪ 0,30
م ل	٪0,37	٪ 0,33	٪ 0,31
ر م	٪ 0,37	٪ 0,32	٪ 0,30
و ق	٪0,36	٪ 0,33	٪0,28
ج ر	٪ 0,36	٪ 0,31	٪ 0,30
ل م	٪ 0,34	٪ 0,32	٪ 0,29
ب ل	٪ 0,37	٪ 0,31	٪0,28
ن ف	٪ 0,37	٪0,30	٪ 0,28
و ل	٪ 0,34	٪0,31	٪ 0,29
ه م	٪ 0,36	٪ 0,30	٪ 0,27
ر ف	٪ 0,34	٪ 0,31	0,27٪
ع ل	٪ 0,32	٪0,31	٪0,27
ر ق	٪ 0,33	٪ 0,38	٪ 0,27
و م	٪ 0,34	0,32٪	٪0,29
ل ب	٪ 0,31	٪ 0,37	٪ 0,28

* "معدّلات استخدام الكلمات؛

* معدّلات استعمال الصّيغ الصّرفيّة؛

* معدّلات استعمال الأساليب النّحويّة، مثل أساليب التّوكيد، والنّفي، والاستفهام والمبنيّ للمجهول... إلخ؛

* التّوزيع النّسبيّ للأفعال المعتلّة والصّحيحة؛

* التّوزيع النّسبيّ للإفراد والتّثنية والجمع؛

* التّوزيع النّسبيّ لحالات الإعراب المختلفة؛

* عدد مرّات تكرار الكلمة، وعلاقته بطول الجذر؛

* معدّل استخدام الكلمة وعلاقته بطولها أو قصرها؛

* معلومات إحصائيّة عن استعمالات اللّفظ في سياقاته المختلفة، بما في ذلك التّوزيع الدّلاليّ للّفظ في الأنواع الكتابيّة المختلفة، أو في الموضوعات المتباينة؛

* نسبة شيوع كلّ لفظ من الألفاظ المترادفة بحسب العصور التّاريخيّة للّغة العربيّة، أو بحسب مناطقها الجغرافيّة"[25]، وبذلك تكون لغة القرآن الكريم على قدرة كبيرة للخضوع للرّموز الرّياضيّة والحسابات الدّقيقة التي من شأنها تقديم كشوف واضحة من مصدرها الأساس إلى غاية انقراضها أو زوالها.

وتسمح لنا الدّراسات الإحصائيّة للّغة العربيّة بالتّعرّف على أسرار الكلمات أكثر، ومعرفة خباياها، وقد مكّننا هذا النّوع من الدّراسات في القرآن الكريم من اكتشاف معجزات كثيرة عجز العلم الحديث عن التّوصّل إليها، "ولا شكّ في أنّ أعضاء المجلس العلميّ للمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة ومحرّريه، سيقرّرون نوع الإحصاءات اللّغويّة التي ينبغي أن يتضمّنها المعجم التّاريخيّ. أمّا نحن، فنرى أنّ على المعجم التّاريخيّ أن يزوّد مستعمليه بجميع أنواع الإحصاءات اللّغويّة المفيدة المتعلّقة بالمبنى والمعنى لجميع ألفاظ مداخله؛ لأنّه مرجع أساس لجميع الباحثين في قضايا اللّغة العربيّة، ما لم تكن تلك المعلومات الإحصائيّة قواعدَ عامّة تُدرَج في القسم الخاصّ بقواعد اللّغة العربيّة في مقدّمة المعجم؛ ففي مدخل الحرف (م) مثلا في المعجم، ينبغي أن يزوّدنا المحرّر، في قسم المعلومات الإحصائيّة في تلك المادّة، بنسبة تردّد هذا الحرف في الجذور العربيّة وفي النّصوص العربيّة، وما هي

الحروف التي يجاورها عادة، وما هي الحروف التي يتنافر معها فلا يجاورها، وما هي الحروف التي يدغم معها، إلخ. وفي مدخل كلمة (عامل) مثلا، ينبغي أن يخبرنا المعجم عن التّوزيع الدّلاليّ لهذه الكلمة؛ أي نسبة شيوع كلّ معنى من معانيها في كلّ عصر من عصور اللّغة العربيّة، وفي كلّ منطقة جغرافيّة من مناطقها، ليعرف القارئ أنّ كلمة (عامل) لا تُستَعمَل في قطاع الإدارة في بلدان المشرق العربيّ بمعنى (محافظ)، كما هي الحال في المغرب في العصر الحديث مثلا، وكما هي الحال في عصور اللّغة العربيّة الأولى وهكذا.

– وتتّخذ ملاحظات المحرِّر وتعليقاتُه أشكالا متعدّدة، مثل:

❖ إضافةٍ إلى المعلومات المختلفة الواردة في المادّة؛

❖ تعميقٍ وتفسيرٍ وتعليلٍ للمعلومات المختلفة الواردة في المادّة؛

❖ تعليقٍ على بعض المعلومات الواردة في صناديق المعلومات الحضاريّة"[26]

وإنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يجب أن يحتوي على معلومات مختلفة منها المعلومات الإحصائيّة والدّلاليّة والموسوعيّة مرفقة بالشّواهد والأمثلة، وهذا أبسط مثال ودليل على أنّ تأليف المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يحتاج إلى عون وإسهام التّقنيّين والرّياضيّين. "ومن الجليّ أنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة مهما بلغت درجة شموليّته باستقصائه ألفاظ اللّغة العربيّة في جميع أزمنتها، وحيثما تداولت بأيّ قطر من أقطار العالم العربيّ، فإنّه يظلّ مع ذلك معجما انتقائيّا في مجال رصد المصطلحات العلميّة والتّقنيّة، يقتصر على تسجيل بعضها دون بعضها الآخر بناء على درجات شيوعها، ومدى اندراجها ضمن اللّغة العامّة، ويكتفي بتعريف مختزل لأنويتها الدّلاليّة"[27].

– **خاتمة:** ومن جملة النّتائج التي توصّلت إليها من خلال هذا البحث البسيط ما يأتي بيانها:

– إنّ إخراج المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة من التّنظير إلى التّطبيق ليس مجـــرّد حبر على ورق، بل يستلزم ذلك إعطاؤه الأهميّة من طرف صنّاع القرار مـــن ذوي السّلطة، من أجل أخذ التّدابير اللاّزمة والمستعجلة بيد أنّ العمليّة صعبة؛

– إنّ مسألة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة مسألة أمّة بأكملها، مســـألة حضـــارة وتقدّم، وإزالة السّتار عن لغة الضّاد، هذه التي يصـــنّفها الـــبعض ضـــمن اللّغـــات المتخلّفة التي لا تنفع في شيء سوى كتابة الشّعر والأدب بها، بينما لو كانت الأمور تجري في مجراها الحقيقيّ، لكانت لغة الضّاد اليوم في أوجّ رقيّها العالميّ بمعجمها اللّغويّ التّاريخيّ المنشود؛

– مناشدة السّلطات العليا في البلاد أخذ القرار وتجسيده في الواقـــع، والمتعلّـــق برفع السّتار عن هذا المعجم والبدء في تأليفه، وعسى أن تتفضّل بالنّظر.

الإحالات:

[1] - جرجي زيدان، اللّغة العربيّة كائن حيّ، ط 2. دار الجيل، لبنان: 1988، ص 5.

[2] - المرجع نفسه، ص 9.

[3] - جرجي زيدان، اللّغة العربيّة كائن حيّ، ص 10.

[4] - نقلا عن محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي، ط 1. دار السلام، القاهرة: 2008، ص 48.

[5] - ينظر: محمود حسين فهمي، علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة، د ط. القاهرة: د ت دار غريب للطّباعة والنّشر، ص 61.

[6] - جميلة عبيد، "المسار التّاريخيّ للمعجم العربيّ، المركز الجامعي ميلة ، ص 276.

[7] عبد اللّطيف الصّوفيّ، اللّغة ومعاجمها في المكتبة العربيّة، ط 1. دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق: 1986، ص 31.

[8]- محمّد الأوراغي، "مقدّمات المعجم التّاريخيّ"، كلّيّة الآداب جامعة محمّد الخامس أكدال الرّباط من موقع: قوقل: www.google.com.

[9] - محمّد الأوراغي، "مقدّمات المعجم التّاريخيّ"، ص4.

[10] - المرجع نفسه، ص 6.

[11] - محمّد الأوراغي، "مقدّمات المعجم التّاريخيّ"، الصفحة نفسها.

[12] - المرجع نفسه، ص 7.

[13] - عبد القادر بوشيبة، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعاجم، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كليّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة والأدب العربيّ: 2015/2014، ص 49.

[14] - المرجع نفسه، ص 50.

[15] - عثمان انجو غوتياو، "التقليد والتجديد في تأليف المعجم من خلال مقدمته"، مركز البحث في المصطلح والترجمة، ليون 2 فرنسا، ص 107.

[16] - منية حمامي، "المقاربات اللّسانيّة وأثرها في تمثيل مقدّمة القاموس لمعجم اللّغة التي تصفها مقدّمة المعجم الوسيط والمعجم العربيّ الأساسيّ أنموذجين"، كلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات تونس، نقلا عن: Alain Polguère, notion de base en lexicologie ص 255.

[17] - نقلا عن : Henriette Gezundhajt : Etude de lexique : www.linguistique.com/mots/lixique.html.

[18] - المرجع نفسه، ص 256.

[19] - المرجع نفسه، ص 266.

[20] - المرجع نفسه، ص 267.

[21] - محمّد شندول، "كتب اللّحن ومصادر معجم العربيّة التّاريخيّ"، المعهد العاليّ للّغات بتونس جامعة قرطاج ص 26. من موقع: http://www.webreview.dz/inter-server/IMG/pdf/1-

[22] - عليّ القاسمي، صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، ط 1. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان: 2014، ص 504-505.

[23] - المرجع نفسه، ص 507:

[24] - المرجع نفسه، ص 505-506.

[25] - عليّ القاسمي، صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، ص 507، 508.

[26] - عليّ القاسمي، صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، الصفحة نفسها.

[27] - مجموعة مؤلّفين، المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة رؤى وملامح، مباحث لغويّة 25، ط 1. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعوديّة: 2016، ص 254.